(السنة الرابعة عشرة)

العدد الثالث يوليه – سبتمبر ١٩٤٨

صحيفة دار العلوم

ص . ا ح ١٩٣٤

تصدرها «جماعة دار العلوم»

كل ثلاثة أشهر

المدير محمد نجيب هشام

رئيس التحرير محمد علي مصطفى

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير
بنادي دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلي

الاشتراكات والحوالات المالية

ترسل باسم أمين الصندوق

النباهي بيومي

وكيل كلية دار العلوم

مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوي

في القطر المصري ———— ٢٠ قرشاً

خارج القطر ———— ٣٠ قرشاً

ثمن العدد ———— ٥ قروش

مطبعة العلوم بشارع الخليج ١٦٢

النقد في الأدب العربي

للأستاذ السباعي بيومي
وكيل كلية دار العلوم

رابعا – في العصر العباسي

٣ – العهد الثالث

من ٣٣٤ – ٤٤٧ هـ

إذا صح أن يقال إن الشعر العربي قد بلغ في هذا العهد أوجه الذي مهد له أبو تمام وانتهى بالمتنبي ، فانه لصحيح كذلك أن يقال، وإن نقد الشعر قد بلغ أيضاً في هذا العصر المبلغ الذي به تكامل القول في الشعر المحدث وتحليله وتعليله وبيان عيوبه وإظهار أخطائه ، على أيدي الأدباء الناقدين فيه ، أولئك الذين اعتمدوا أول ما اعتمدوا على الذوق السليم ، فأيدوا ما أيدوا ودحضوا ما انكروا ، بمنطق صحيح ورأى سديد ، يستمدون فيه من هذا الذوق ويأتنسون بما ألفه القدماء ، وإذا صح أن كان الكلام عن الثلاثة الأسلاميين ، جرير والفرزدق والأخطل ، كلاما في الشعر الاسلامي نفسه ، والكلام في الثلاثة الجاهليين زهير والنابغة والأعشى وعلى رأسهم رأس الشعراء جميعاً امرؤ القيس ، كلاما في الشعر الجاهلي أيضاً . فانه لأصح ان يكون الكلام في هؤلاء الثلاثة المحدثين ، أبي تمام والبحتري والمتنبي ، كلاماً في الشعر المحدث ، الذي بحث في أشعارهم أتم بحث وأقصاه . لأن دواوينهم قد انتظمت كل خصائص الشعر واشتملت على جميع مزاياه ، وقد

فاضت الموازنة بين بعضهم وبعض ، على أيدى نقاد هذا العصر من الأدباء أكثر مما فاضت بين الثلاثة الأسلاميين وبين الأربعة الجاهليين ، وكما وقعت الموازنة بين هؤلاء وأولئك ، وقعت بين تلاثتنا المحدثين وبين أولئك وهؤلاء، ومن ثم خصب النقد فى هذا العهد واتسعت آفاقه ، بروح جديدة لنقاده ، لم تعكف على القديم عكوف اللغويين فى العهد الأول، ولم تسلم القياد للمحدث كما فعل بعض العلماء والفلاسفة من نقاد العهد الثانى وبعض نقاد الأول ، وإنما اهتدت فى نقدها بأذواق الأدباء الشعراء ، وأنست بعض الأنس إلى بعض الأدباء من العلماء والفلاسفة غير مقيدة بالعلم وبالأولى بالفلسفة ، فليس للشعر عندهم حدود مرسومة بالألفاظ والمعانى ، كما قال ابن قتيبة ، وليست الفضائل النفسية عندهم بالتى تستأثر بالتفضيل فى المدائح وما إليها ، كما قال قدامة ، وإنما الشعر عندهم ، إصابة معنى وإدراك غرض، فى أسلوب عذب غير متكلف ، ومعان صحيحة سليمة لا استحالة فيها ولا فساد ، وهو مع هذا وذاك لا تأبى صياغته التحلية بالبديع ، كما تشاء المحسنات، ولا العمق فى المعانى الى الدرجة التى تحتاج الى الغوص ، هذا هو الشعر عندهم ، وعليه يبنى جماله ، وبقدر مخالفته لذلك تكون درجة قبحه ، مع إعطاء الأذواق وهى مختلفة حتما باختلاف النقاد حرية هذا الخلاف ، إلى درجة قد يدرك فيها الناقد الحسن أو القبح ولا يعرف كيف يعلل لهذا أو ذاك ، مقدرين فى هذه الناحية ماسبق به ابن سلام الجمحى فى طبقاته ، من أن الشعر صناعة وثقافة ، وأنه فى حاجة إلى معالجة ودربة كسائر الفنون والصناعات ، وأن الشيئين من فرس وجارية وغيرهما ، قد تتجمع فى كليهما كل علامات العتق وكل شرائط الحسن ، ولكن الذوق يفضل أحدهما على الآخر، تفضيلا من شأنه أن ترتفع به عقيرة الناقد ، وأن يخالف بين ثمنيهما مخالفة تبلغ المائة وقد تصل الآلاف . وإذ قد اختص النقد بالأدباء فى هذا العصر ، فقد ترك من اعتادوا الدخول فيه فى العصرين قبله من غيرهما ، ميدانه لهم ، من علماء ولغويين ، هذا ابن خالويه خصيم المتنبى وابن جنى وليه ، لم يدخلا حلبة النقد

كأدباء ناقدين ، وهذا ابن دريد الضليع فى الشعر وأيام العرب ضلاعته فى اللغة ، وابن الأنبارى الحافظ اللغة والراوى الدواوين ، ليس لهما فى النقد أثر ظاهر ، وكذلك أضرابهما من رجال اللغة وإن كانوا أدباء ، وقد كان من خلو هذا الميدان للنقد فى هذا العهد للأدباء ، وتفرغ الأدباء وحدهم لأجالة النقد فيه ، أن ظهرت به عدة شخصيات من كبار النقاد ، نبدؤها بأبى الفرج الأصفهانى صاحب الأغانى ، ونختمها بفرسى رهانه أبى الحسن الجرجانى وأبى القاسم الآمدى ، معرجين بينهما فى إجمال على بعض الشخصيات الأخرى .

أولا — أبو الفرج الأصفهانى

هو أبو الفرج على بن الحسين ، ينتهى نسبه إلى مروان فأمية ، كانت ولادته بأصفهان سنة ٢٨٤ ووفاته ببغداد سنة ٣٥٦ فهو قد عاش أكثر من سبعين سنة ، وكان يحفظ من الشعر والأغانى والأخبار والآثار وغيرها ، مالم يحفظ مثله أحد ، على ما كان له من مشاركة حسنة لكثير من العلماء فى كثير من العلوم ، وله مؤلفات كثيرة جدا ، كلها ينبىء عن غزارة أدبه ، وقوة شاعريته ، ولكن أوفاها وأكبرها وأجمعها ، كتاب الاغانى البالغ واحدا وعشرين جزءا ضخاما ، وهو الذى سنستقى منه منابعه فى النقد هنا :-

١ — كان أبو الفرج من أدق النقاد فى تعرف خصائص الشاعر الذى يترجم له ، وفى الميزات التى توضح شخصيته ، وتحدد كيانه ، كما يظهر ذلك جليا فى صدور التراجم ، واليك نموذجا منها قاله فى صدر ترجمته لأبى العتاهية . « قال الشعر فبرع فيه وتقدم ، ويقال ، أطبع الناس بشار والسيد ، يعنى الحميرى ، وأبو العتاهية ، وما قدر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته ، وكان غزير البحر ، لطيف المعانى ، سهل الألفاظ ، كثير الافنان ، قليل التكلف ، إلا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك ، وأكثر شعره فى الزهد والأمثال ، وله أوزان طريفة قالها مالم يتقدمه الأوائل فيها » .

فأنت تراه فى هذه الديباجة القصيرة ، قد تعرض للصياغة والفكرة فى أكثر من ناحية لكليهما ، كما تعرض للأغراض والمناحى ، ولم يخلها من التعرض للمعايب والمساقط ، وهكذا كان شأنه فى سائر التصديرات .

٢ ـ عنى عناية مشكورة بعقد الصلة بين الشاعر والشعراء الذين يقع بعضهم من بعض موقع الأساتذة من الطلاب ، يعنى الشعراء الذين تضمهم مدرسة واحدة فى المشارب كما نقول الآن ، حرصا منه على تبين خصائص كل مدرسة وزحافها من مدرسين وتلاميذ ، وأنت تلمح فى الديباجة السابقة ، الجامعة التى ذكر من أجلها بشارا والسيد الحميرى مع أبى العتاهية ، وهو كذلك يعقد صلة بين زهير وأوس قبله وبينه وبين الحطيئة بعده ، ويقول فى سلم الخاسر « وهو راوية بشار بن برد وتلميذه وعنه أخذ ومن بحره اغترف وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر » ، كما يقول فى ترجمة العرجى مشيرا إلى اتحاده فى المذهب الشعرى مع عمر بن أبى ربيعة « كانت حبشية من مولدات مكة ظريفة » ، صارت إلى المدينة ، فلما أتاها موت عمر بن أبى ربيعة ، اشتد جزعها وجعلت تبكى وتقول ، من لمكة وشعابها وأباطحها ونزهها ، ووصف نساءها وحسنهن وجمالهن ، ووصف مافيها ، فقيل لها خفضى عليك فقد نشأ فتى من ولد عثمان رضى الله عنه يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه ، يعنون العرجى ، فقالت أنشدونى من شعره ، فأنشدوها فمسحت عينيها وضحكت وقالت ، الحمد لله الذى لم يضيع حرمه » وهكذا .

٣ ـ تنبه إلى البيئة وأثرها فى شعر الشاعر من زمانية ومكانية ، وإلى سيرة الشاعر وما تعرض له من صحبة ، وإلى مذهبه السياسى ورأيه الدينى ، يذكر أثر ذلك كله فى شعره ، انظر إليه يعرف بأبى دلامة تعريفا يتصل بتلك النواحى فيقول « وهو كوفى أسود مولى لبنى أسد ، كان أبوه عبدا لرجل منهم يقال له فضافض فأعتقه ، وأدرك آخر أيام بنى أمية ، ولم يكن له فى أيامهم نباهة ، ونبغ فى أيام بنى العباس وانقطع إلى أبى العباس وأبى جعفر المنصور والمهدى ، فكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيبون مجالسته ونوادره ،

ولم يصل إلى أحد من الشعراء ما وصل إلى أبي دلامة من المنصور خاصة، وكان فاسد الدين ردىء المذهب مرتكبا للمحارم مضيعاً للفروض مجاهراً بذلك، وكان يعلم هذا منه ويعرف به فيتجافى عنه للطف محله، وكان أول ما حفظ من شعره وأسنيت الجوائز له به، قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور وذكر قتله أبا مسلم، هي التي يقول فيها:

أبا مسلم خوفتني القتل فانتحى عليك بما خوفتني الأسد الورد
أبا مسلم ما غير الله نعمة على عبده حتى يغيرها العبد

أنشدها المنصور في محفل من الناس فقال له احتكم قال عشرة آلاف درهم، فأمر له بها، فلما خلا به قال له إيه أما والله لو تعديتها لقتلتك »

٤ ــ كان كلفا بتحليل الشعر تحليلا يذكر من أجله أخبار السالفين، من شعراء ونقاد ذوقيين، ويقف به على ما يراه الحسن وما يراه القبيح، وإليك في هذا مثلا رأيناه ذا سعة من أمثال، ذكر عن سائب راوية كثير عزة أنه دخل عليه ومعه عمر بن أبي ربيعة والأحوص ونصيب في خيمته، قال فوجدناه جالسا على جلد كبش، فوالله ما أوسع للقرشي، فلما تحدثوا مليا وأفاضوا في ذكر الشعراء أقبل على عمر فقال له أنت تنعت المرأة فتشبب بها ثم تدعها وتنسب بنفسك، أخبرني ياهذا عن قولك:

قالت تصدى له ليعرفنا ثم اغمزيه ياأخت في خفر
قالت لها قد غمزته فأبى ثم اسبطرت تشتد في أثرى
تقولها والدموع تسبقها لنفسدن الطواف في عمر

أتراك لو وصفت بهذا هرة أهلك، ألم تكن قد قبحت وأسأت وقلت الهجر، إنما توصف الحرة بالحياء والإباء والالتواء والبخل والامتناع، كما قال هذا، وأشار إلى الأحوص

أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم مادرت حيث أدور
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى إذا لم يزر لابد أنه سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر وإني إلى معروفها لفقير

قال فدخلت الأحوص أبهة وعرفت الخيلاء فيه ، فلما استبان ذلك منه قال ، أبطل آخرك أولك ، أخبرنى عن قولك .

فأن تصلى أصلك وإن تبينى ... بصرمك بعد وصلك لا أبالى
ولا ألفى كمن إن سيم صرما ... تعرض كى يرد إلى الوصال

أما والله لو كنت فحلا لباليت ولو كسرت أنفك ، ألا قلت كما قال هذا الأسود وأشار إلى نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب ... وقل إن تملينا فما ملك القلب

قال فانكسر الأحوص ودخلت النصيب أبهة ، فلما نظر أن الكبرياء قد دخلته قال له ، وأنت يابن السوداء أخبرنى عن قولك :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت ... فوا كبدى من ذا يهيم بها بعدى

أهمك من يفعل بها بعدك « قالها ولا يكنى » فقال نصيب استوت الفرقة ، وهى لعبة واستواؤها انقضاؤها ، وللحديث بقية طويلة ص١٧ ج ١١

٥ - وقد تعرض للسرقات الشعرية لماما ، ولكن باسم الأخذ لا السرقة ، ومن شواهد ذلك قوله وقد ذكر عينية على بن جبلة الطويلة المشهورة ، وهى من نادر الشعر وبديعه ، فى رثاء حميد الطوسى « إنما ذكرت هذه القصيدة على طولها لجودتها وكثرة نادرتها ، وقد أخذ البحترى أكثر معانيها فسلخه وجعله فى قصيدتيه اللتين رثى بهما أبا سعيد الثغرى « انظر إلى العلياء كيف تضام » و « بأى أسى تثنى الدموع الهوامل » ، وقد أخذ الطائى أيضا بعض معانيها ، ولولا كراهة الاطالة لشرحت المواضع المأخوذة ، وإذا تأمل ذلك منتقد بصير عرفه » هذا وعينية ابن جبلة هذه هى التى يقول فى مطلعها :

ألِلدهر تبكى أم على الدهر تجزع ... وما صاحب الأيام إلا مفجع
ولو سهلت عنك الأسى كان فى الأسى ... عزاء معز للبيب ومقنع

ثانيا - ابن العميد وآخرون

ومن النقاد بعد أبى الفرج ، أبو الفضل بن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ هـ

وهو العالم الفيلسوف والأديب الشاعر ، أنشد الصاحب بن عباد بحضرته يوما ، قصيدة أن تمام التى منها هذا البيت :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى وإذا مالمته لمتـــه وحدى

فسأله ألا تجد فى هذا البيت عيباً ، فقال بلى ضعف الطبان بين المدح واللوم ، قال لا ، إنما عيبه فى عدم سلامة الحروف من الثقل . وفى التكرار فى أمدحه مع الجمع بين الحاء والهاء مرتين وهما من حروف الحلق ، وذلك مرذول خارج عن حد الاعتدال ، وابن العميد فى نظر الصاحب خير النقاد ، ولعله يعنى فى هذه الناحية ناحية الإنسجام بين الحروف فى الكلمة والكلمات فى التركيب ، مع ناحية أخرى هى ناحية الانسجام أيضا ، ولكن بين المعانى والوزن والقافية ، يؤيد هذا من الصاحب قوله حيث يقول « لم أجد فيمن صحبت من يفهم الشعر كما يفهمه ابن العميد ، فانه يتجاوز نقد الأبيات إلى نقد الحروف والكلمات ، ولا يرضى بتهذيب المعنى حتى يطالب بتخير القافية والوزن » ، وقال عن ابن العميد أيضا سمعته أيده الله يقول . إن أكثر الشعراء لا يدرون كيف يجب أن يوضع الشعر ويبتدأ النسج ، لأن حق الشاعر ، أن يتأمل الغرض الذى قصده والمعنى الذى اعتمده ، وينظر فى أى الأوزان يكون أحسن استمرارا ومع أى القوافى يحصل أحمل اطراد .

ومنهم الصاحب بن عباد المذكور مؤلف الرسالة المسماة « الكشف عن مساوى المتنبى » ، وهو ظاهر التعصب عليه فيها ، إذ وقع أكثر ماوقع منه عن هوى وغرض . وما جاء فيها عن غير الهوى والغرض لم يكن فيه من جديد ، وإنما هو مما شاع على ألسنة المحدثين من ذكر أشياء من شعر المتنبى تمثل التعقيد والركاكة والاستكراه والغموض وغيرها ، مما وقع فيه المتنبى ، وإن كان بالنظر إلى مجموع شعره يعد من الهنات الهينات .

ومنهم أبو على الحاتمى الذى ألف رسالة سماها « الموضحة فى مساوى المتنبى » ، وأخرى فيه أيضاً عن حكمه وما وافق فيها أرسطا طاليس بقصد الغض منه كذلك .

ثم منهم أبو الحسن بن لنكك ، وقد ولع بثلب المتنبي كصاحبيه المذكورين .

ثالثا ـ الآمدى والجرجانى

الآمدى هو أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى ، كان من أهل البصرة وفيها تلقى النحو واللغة عن الأخفش الأصغر علي بن سليمان ، ومن بعده على الزجاج وابن دريد ، وقد نشأ محبا للادب مولعا بالشعر ونقده ، ومن أهم كتبه فى ذلك كتاب المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء ، وكتاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، وهو منسوب إلى آمد من أشهر مدن الجزيرة على الفرات وكانت وفاته سنة ٣٧٠

والجرجانى هو أبو الحسن على بن عبد العزيز قاضى الري أيام الصاحب بن عباد ، وكان أديبا مبرزا وشاعراً مجيدا وكاتبا قديراً ، تتلمذ عليه كثير ، أهمهم عبد القاهر الجرجانى الذى سنتكلم عنه بعد ، وهو صاحب كتب كثيرة منها كتاب تهذيب التاريخ وقد نقل عنه الثعالبى فى اليتيمة وكتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه الذى ألفه عقب تحامل الصاحب فى رسالته السابقة على المتنبي ، وقد عرف بالتطواف فى الأقطار الأسلامية إذ ذاك ، وكانت وفاته سنة ٣٩٢ .

والذى يعنينا من الآمدى والجرجانى ، هو التعرض لنقدهما ، الأول فى كتابه الموازنة والثانى فى كتابه الوساطة ، على أنهما علما الأدب النقدى فى العهد الذى نحن فيه .

١ ـ الآمدى فى كتاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى :

بدأ الآمدى كتابه هذا بقوله « هذا ماحثثت ـ أدام الله لك العز والتأييد والتوفيق والتسديد ـ على تقديمه من الموازنة بين أبى تمام بن أوس الطائى وأبى عبادة الوليد بن عبيد الله البحترى فى شعريهما ، وقد رسمت من ذلك

ماأرجو أن يكون الله عز وجل قد وهب فيه السلامة ، وأحسن فى اعتماد الحق وتجنب الهوى المعونة منه برحمته » .

وبعد أن ذكر إجمالا رأى من يفضلون أبا تمام ، ورأى من يفضلون البحترى ، ورأى من يسوون بينهما ، أعلن عن رأيه فقال « ولست أحب أن أطلق القول بأيهما أشعر عندى ، لتباين الناس فى العلم واختلاف مذاهبهم فى الشعر ، ولا أرى لأحد أن يفعل ذلك فيتعرض لذم أحد الفريقين ، لأن الناس لم يتفقوا على أى الأربعة أشعر ، فى امرىء القيس والنابغة وزهير والأعشى ، ولا فى جرير والفرزدق والأخطل ، ولا فى بشار ومروان ، ولا فى أبى نواس وأبى العتاهية ومسلم ، لاختلاف آراء الناس فى الشعر وتباين مذاهبهم فيه ، فان كنت ، أدام الله سلامتك ، ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة ، وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق ، فالبحترى أشعر عندك ضرورة ، وإن كنت تميل إلى الصنعة ، والمعانى الغامضة التى تستخرج بالغوص والفكرة ، ولا تلوى على غير ذلك ، فأبو تمام أشعر عندك لا محالة ، فأما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ، ولكنى أقارن بين قصيدتين من شعرهما ، إذا اتفقتا فى الوزن والقافية ، وإعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ، فأقول ، أيهما أشعر فى تلك القصيدة وفى ذلك المعنى ، ثم أحكم أنت حينئذ على جملة مال كل واحد منهما إذا أحطت علما بالجيد والردىء ، وأنا أبتدىء بما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى عند تخاصمهم ، فى تفضيل أحدهما على الآخر ، وما ينعاه بعض على بعض ، لتتأمل ذلك ، وتزداد بصيرة وقوة فى حكمك إن شئت أن تحكم ، وفى اعتقادك فيما لعلك تعتقد » قال ذلك ، ثم بدأ يذكر وجوها من هذا الاحتجاج تحت عنوان « قال صاحب أبى تمام » « وقال صاحب البحترى » حتى أنهى فى ذلك أحد عشر احتجاجا مزدوجا ، لم تترك فيما قيل لكل من الشاعرين وعليه شيئاً ، إذ استغرقت نحو العشرين صفحة من الكتاب ، وبعدها أخذ يبين ما سيعرض له

فى الكتاب من موضوعات فقال « ثم احتجاج الخصمين بحمد الله ؛ وأنا أبتدىء بذكر مساوى هذين الشاعرين لأختم بذكر محاسنهما ، فأذكر طرفاً من سرقات أبى تمام وإحالاته وغلطه وساقط شعره ، وآخر من مساوى البحترى فى أخذ ما أخذه من معانى أبى تمام وغيره ، وغير ذلك من غلطه فى بعض معانيه وألفاظه ، وأوازن من شعريهما ، بين قصيدتين إذا اتفقتا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ، فان محاسنهما تظهر فى تضاعيف ذلك وتنكشف ، ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منها فحوز من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه ، وأفرد بابا لما وقع فى شعريهما من التشبيه وبابا للأمثال أختم بهما الرسالة ، وأتبع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما وأجعله مؤلفا على حروف المعجم ، ليقرب متناوله ويسهل حفظه وتقع الأحاطة به إن شاء الله تعالى »

هذا هو الفهرس الذى رسمه لنفسه كى يسير عليه ولكن مما يؤسف له ، أن طابعى الكتاب للمرة الأولى فى مصر وقفوا به فى الطبع ، مع زعمهم التمام ، عند نهاية الموازنة ، فأما باب انفراد كلا الشاعرين بما انفرد به من معان دون صاحبه ، وباب ماوقع فى شعريهما من التشبيه ، وباب ماوقع فيه من أمثال ، ثم باب الاختيار المجرد من شعريهما مؤلفا على حروف المعجم ، فلم تتناوله تلك الطبعـــة . ومما يؤسف له أكثر أن الذين تعرضوا لطبعه المرة الثانية دون هؤلاء تحت إشراف أحد الأساتذة ، وقفوا عند هذا الحد أيضا ، مع أن الكتاب مخطوط كاملا فى دار الكتب ، ومن أصح مخطوطاته وأوضحها ، نسخة فى مكتبة المغفور له أحمد تيمور باشا . وعلى ذلك يكون كلام الآمدى فى الجزء المطبوع ، قصرا على البابين الأولين ، وهما باب السرقات والاحالات فى المعانى والغلط فى الألفاظ ، وباب الموازنات بين القصيدتين المتفقتين وزنا وقافية ، وبين المعنيين المتحدين ، على أن الآمدى حين انتهى إلى القول فى الموازنات ، قصره عليها بين المعنيين المتفقين ، وعدل

عن الموازنة بين القصيدتين المتحدتين وزنا وقافية ، لأن الاتفاق فى المعنى هو الأس الصالح للمقارنة ، وهذا قوله فى ذلك ، وقد انتهيت الآن الى الموازنة ، وكان من الرأى أن أوازن بين البيتين أو القطعتين ، إذا اتفقتا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، ولكن هذا لايكاد يتفق مع اتفاق المعانى ، التى إليها المقصد وهى المرمى والغرض ، وبالله أستعين على مجاهدة النفس ، ومخالفة الهوى ، وترك التحامل ، فانه جل اسمه حسبى ونعم الوكيل » . وعلى هذا يكون ماتعرض له راجعاً إلى السرقة ، وإلى الأحالة فى المعانى للغلط فى الألفاظ ، فالى الرذل من ألفاظه والقبيح من استعاراته ، والمستكره المتعقد من نسجه ونظمه ثم إلى الموازنة بين المعنيين المتفقين ، مما تعرض له الآمدى فى الجزء المطبوع ، وهو كفيل أن يرينا عظيم جهده وبالغ قدره فى النقد.

السرقة :

قال الآمدى فى التصدير لسرقات أبى تمام « كان أبو تمام مشتهرا بالشعر شغوفا به ، مشغولا مدة عمره بتخميره ودراسته ، وله كتب اختيارات فيه مشهورة معروفة » وبعد أن عدد من هذه الاختيارات ستة أحدها المعروف باسم ديوان الحماسة وهو أشهرها وليس أكبرها قال « وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر ، وأنه أشغل به وجعله وكده ، واقتصر من كل الآداب والعلوم عليه ، فانه ما من شىء كبير من شعر جاهلى ولا إسلامى ولا محدث - إلى عهده - إلا قرأه واطلع عليه ، ولهذا أقول إن الذى خفى من سرقاته أكثر مما قام منها على كثرته ، وأنا أذكر ماوقع الى فى كتب الناس من سرقاته ، وما استنبطته أنا منها واستخرجته ، فان ظهرت بعد ذلك منها على شىء ألحقته بها إن شاء الله » ثم أخذ عقب هذا يعدد سرقاته من معانى الجاهليين والاسلاميين والمحدثين وأحيانا بنفس ألفاظهم أو بعضها حتى جاوز المائتين ، وهذى أمثلة ثلاثة متنوعة على ماسبق مما ذكر .

قال النابغة يصف يوم الحرب :

تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الأظلام إظلام

أخذه الطائى فقال وذكر ضوء النهار وظلمة الدخان فى الحريق الذى وصفه

ضوء من النار والظلماء عاكفة وظلمة من دخان فى ضحى شحب

فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت والشمس واجبة من ذا ولم تجب

وقال جرير فى العيون :

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له وهن أضعف خلق الله إنسانا

فأخذه أبو تمام فجعله فى الخمر فقال :

وضعيفة فاذا أصابت فرصة قتلت ، كذلك قدرة الضعفاء

وقال أبو العتاهية :

وإنا إذا ما تركنا السؤا ل فيه فلم نبده يبتدينا

وإن نحن لم ننبخ معروفه فمعروفه أبدا يبتغينا

وقال مسلم بن الوليد فى معنى بيت أبى العتاهية الأول :

أخ لى يعطينى إذا ما سألته ولو لم أعرض بالسؤال ابتدانيا

أخذ أبو تمام معنى هذا البيت ومعنى بيت أبى العتاهية الأول فقال :

ورأيتنى فسألت نفسك سيبها لى ثم جدت وما انتظرت سؤالى

أو لعله أخذه من قول منصور النمرى :

رأيت المصطفى هرون يعطى عطاء ليس ينتظر السؤالا

وأجود من هذا كله قولى سلم الخاسر :

أعطاك قبل سؤاله فكفاك مكروه السؤال

وأخذ أبو تمام معنى بيت أبى العتاهية الثانى فقال :

كالغيث إن جئته وافاك ريقه وإن تحملت عنه كان فى الطلب

وبعد أن أكمل ذلك العبد من السرقات وزاد ، قال « وقد سمعت أبا على محمد بن العلاء السجستانى يقول عن أبى تمام وسرقاته ، إنه ليس له معنى انفرد به فاخترعه إلا ثلاثة معان ، وهى قوله :

ثأبى على التصريد الا نائلا الا يكن ماء قراحا يمزق
نزرا كما استكرهت عابر نفحة من فأرة المسك التى لم تفتق

وقوله

بنى مالك قد نبهت خامل الثرى قبور لكم مستشرفات المعالم
رواقد قيد الكف من متناول وفيها علا لا يرتقى بالسلالم

وقوله

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

قال الآمدى ، ولست أرى الأمر على ما ذكره أبو على ، بل أرى أن له على كثرة مآخذه من أشعار الناس ومعانيهم ، مخترعات كثيرة وبدائع مشهورة ، وأنا أذكرها عند ذكر محاسنه إن شاء الله تعالى ، ومع هذا فلم أر المنحرفين عن هذا الرجل يحطون السرقات من كبير عيوبه لأنه باب ما تعرى منه أحد من الشعراء إلا القليل ، بل الذى وجدتهم ينحونه عليه ، كثرة غلطه وإحالته فى المعانى والألفاظ » .

الغلط والأطالة

وقال فى التصدير لهذا الذى ينعاه عليه المنحرفون عنه من كثرة غلطه وإحالته فى المعانى والألفاظ ، « وتأملت الأسباب التى أدته إلى ذلك فاذا هى ما رواه أبو عبد الله محمد بن داود الجراح ، عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة بن أحمد ، أن أبا تمام يريد البديع فيخرج إلى المحال ، وهذا نحو ما قاله أبو العباس عبد الله بن المعتز فى كتابه الذى ذكر فيه البديع ، وكذلك ما رواه محمد بن داود عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن أبيه ، من أن أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، وأن أبا تمام تبعه فسلك فى البديع مذهبه فتحير فيه ، كأنهم يريدون إسرافه فى طلب الطباق والتجنيس والاستعارات وتوشيح شعره بها ، حتى صار كثير مما أتى به من المعانى لا يعرف ولا يعلم غرضه فيها ، إلا مع الكد والفكر وطول التأمل ، ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالظن والحدس » إلى أن قال « وأنا الآن أذكر ما غلط فيه أبو تمام من

المعانى والألفاظ مما أخذته من أفواه الرجال وأهل العلم بالشعر عند المفاوضة والمذاكرة ، وما استخرجته أنا من ذلك واستنبطته ، بعد أن أسقطت منه كل ما احتمل التأويل ودخل تحت المجاز ولاحت له أدنى علة »

قال ذلك ثم ساق لما قال أكثر من ثلاثين مثلا سود فى التعليق على بعضها أكثر من سبع صفحات ووقف فى بعضها عند الصفحة أو أقل منها ، وهاك ثلاثة أمثلة لهذا النوع الذى أقل فيه أو توسط .

قال ، ومن خطئه فى المدح قوله :

سأحمد نصراً ما أحييت وإننى لأعلم أن قد جل نصر عن الحمد

فانه رفع الممدوح عن الحمد الذى ندب الله عباده إليه بأن يذكروه به وينسبوه إليه ، وافتتح فرقانه فى أول سورة بذكره وحث عليه ، وللعرب فى ذكر الحمد ماهو كثير فى كلامها وأشعارها بما فيهم من رفع أحدا عن أن يحمد ، ولا من استقل الحمد للممدوح

قال زهير بن أبى سلمى .

منصرف للمجد مقترف للزء نهاض إلى الذكر

أى حيثما رأى خلة تكسبه الحمد التمسها وطلبها ، وقال زهير أيضاً

أليس بفياض يداه غمامة ثمال اليتامى فى السنين محمداً

فقوله محمداً أى يحمد كثيراً ، وقال الأعشى

ولكن على الحمد إنفاقه وقد يشتريه بأغلى الثمن

وقال أيضا

إليك أبيت اللعن كان كلالها إلى الماجد الفرع الجواد المحمد

فوصفه بأن جعله محمداً أى يحمد كثيراً ، وقال آخر ، يعنى الحطيئة ،

تزور فتى يعطى على الحمد ماله ومن يعط أثمان المحامد يحمد

فهذه هى الطريقة المعروفة فى كلام العرب . ولو قال الطائى ، لو جل أحد عن المدح لجللت عنه ، كان أعذر له كما قال البحترى :

لو جل خلق قط عن أكرومة تبنى جللت عن الندى والباس

أى كنت تجل لعلو شأنك عن أن يقال سخى أو شجاع ، إذ كان هذان الوصفان قد يوصف بهما من هو دونك ، وقال البحترى أيضاً :

والحمد أنفس ما تعوضه امرؤ رزىء التلاد إن المرزأ عوضا

فأما قول البحترى :

كيف تثنى على ابن يوسف لا كيف ، سرى مجده فعاب الثناء

فعيبه الثناء ، إنما معناه ، عظم أن يدركه ويبلغ حده ، ألا تراه قال « كيف تثنى على ابن يوسف لا كيف » أى لا طريق إلى كيف الثناء الذى يستحقه ويليق به ، ثم قال « سرى مجده فعاب الثناء » قطعاً من الكلام الأول: ومن خطئه قوله :

وأرى الأمور المشكلات تمزقت ظلماتها عن رأيك المتوقد
فبسطت أزهرها بوجه أزهر وقبضت أربدها بوجه أربد

فقال « الأمور المشكلات » وجعل لها ظلمات ، فكيف يقول فبسطت أزهرها ، والزهر هى النيرات ، والمشكلات لا يكون شىء فيها نيراً ، وكأنه يريد أن الأمور المشكلة منها جيد قد أشكل الطريق اليه ، ومنها ردىء قد جهلت أيضاً حاله ، فهى كلها مظلمة ، فيمزق ظلماتها برأيه ويكشف عن الجيد منها ويبسطه أى يستعمله ، ويكشف عن رديها ويقبضه أن يكفه ويطرحه ، ولكن ما كان ينبغى له أن يقول بوجه أزهر وبوجه أربد ، لأنه لا ضوء هاهنا للوجه ولا تأثير ، فان الصنع إنما هو للرأى وللعقل ، فاذا رأى ذو الرأى أن يفتح أمراً مغلقاً واستبان منه الأشياء المظلمة وانفتحت المغلقة ، أو رأى أن يغلق أمراً مفتوحا إذا كان الصواب موجباً ذلك عنده كان ذلك له ، فالرأى على الأحوال كلها أزهر مسفر ، والوجه على الأحوال كلها أبيض ، وليس يريد أبيض فى لونه ، والعاجز إذا ورد عليه الأمر يبهظه ، تبينت الكآبة فى وجهه ، ولله در منصور النمرى حيث يقول :

يرى ساكن الأوصال باسط وجهه يريك الهوينى والأمور تطير

فقال « ساكن الأوصال باسط وجهه » فدل على قلة اكتراثه بالأمور

التى ترد عليه ، وقول أبى تمام « بوجه أربد » لا معنى له لأنه من صفات الغضبان أو المكتئب من أمر ورد عليه وهو عندى فى ذلك غالط وفى ذلك مسىء .

ومن خطئه قوله :

ومشهد بين حكم الذل منقطع صاليه أو بحبال الموت متصل
جليت والموت مبد حر صفحته وقد تفرعن فى أفعاله الأجل

قوله « بين حكم الذل » لو كان حكم الذل أشياء متفرقة لصحت فيها بين ، غير أن حكم الذل والذل بمنزلة واحدة ، وكذلك حكم العز والعز ، فكما لا يقال بين العز فكذلك لا يقال بين حكم العز إلا أن يقال وكذا ، لأن بين إنما هى وسط بين شيئين ، فان قيل ، حكم الذل مشتمل على مشهد الحرب الحرب ومن يصلاها ، فكأنه ذهب بقوله بين إلى معنى وسط ، أى مشهد وسط حكم الذل ؛ قيل وسط لا يحل محل بين ، وبين لا يحل محل وسط ، لأنك تقول ، البئر وسط الدار ولا تقول البئر بين الدار ، وتقول المال بيننا نصفان ولا تقول المال وسطنا نصفان ، والمعنى الذى بنى أبو تمام البيت عليه ، سياق لفظه أن يقول ومشهد بين حكم الذل وحكم العز ، أى ومشهد بين الذل والعز ، محجم من يصلاه وهو الذليل أو مقدم وهو العزيز ، جليته وكشفته ، يعنى الممدوح ، فحذف أحد القسمين الذى لا يصلح بين إلا به مع القسم الآخر ، وجعل قوله منقطع فى موضع محجم ، ومتصل فى موضع مقدم ، وليس هذا من مواضع متصل ولا منقطع ، وقد أغراه الله بوضع الألفاظ فى غير مواضعها ، من أجل الطباق والتجنيس اللذين بهما فسد شعره وشعر كل من اقتدى به ، وقوله « وقد تفرعن فى أفعاله الأجل » معنى فى غاية الركاكة والسخافة ، وهو من ألفاظ العامة ، وما زال الناس يعيبونه ويقولون اشتق للأجل الذى هو مطل على كل النفوس فعلا من اسم فرعون ، وقد أتى الأجل على نفس فرعون ، وعلى نفس كل فرعون كان فى الدنيا .

الرذل والقبيح من الألفاظ والاستعارات :-

وقال فى التصدير للرذل من ألفاظه والقبيح من استعاراته ، والمستكره المتعقد من نسجه ونظمه ، قد ذكرت فى الجزء الأول من كتاب الموازنة سرقات أبي تمام ، وذكرت فى الثانى إحالته فى المعانى لخطئه فى الألفاظ ، وأنا أذكر فى هذا الجزء الثالث ، الرذل من ألفاظه والقبيح من استعاراته والمستكره المتعقد من نسجه ونظمه ، على ما رأيت فى أشعار المتأخرين ، يتذاكرونه ويتخونه عليه ويعيبونه به ، وعلى أنى وجدت لبعض ذلك نظائر فى أشعار المتقدمين فعلمت أنه بذلك اغتر وعليه فى العذر اعتمد ، طلبا منه للاغراق والإبداع ، وميلا إلى وحشى المعانى والألفاظ ، وإنما كان يندر من هذه الأنواع المستكرهة على لسان الشاعر المحسن ، البيت أو البيتان يتجاوز له عن ذلك ، لأن الأعرابى لا يقول إلا عن قريحته ولا يعتصم إلا بخاطره ولا يستقى إلا من قلبه ، وأما المتأخر الذى يطبع على قوالب ، ويحذو على أمثلة ، ويتعلم الشعر تعلما ، ويأخذه تلقنا ، فمن شأنه أن يتجنب المذموم ولا يتبع من تقدموه إلا فيما استحسن منهم واستجيد لهم واختير من كلامهم ، أو فى المتوسط السالم إذا لم يقدر على الجيد البارع ، ولا يوقع الاحتطاب والاستكثار مما جاء منهم نادراً ومن معانيهم شاذا ، ويجعله حجة له وعذراً ، فان الشاعر قد يعاب أشد العيب إذا قصد بالصنعة سائر شعره ، وبالابداع جميع فنونه ، لأن مجاهدة الطبع ومغالبة القريحة ، مخرجة سهل التأليف إلى سوء التكلف وشدة التعمل ، كما عيب صالح بن عبد القدوس وغيره ممن سلك هذه الطريقة حتى سقط شعره ، لأن لكل شىء حدا إذا تجاوزه المتجاوز سمى مفرطا ، وما وقع الافراط فى شىء إلا شانه وأعاد إلى الفساد صحته ، وإلى القبح حسنه وبهاءه ، فكيف إذا تتبع الشاعر مالا طائل فيه من لفظة شنيعة لمتقدم ، أو معنى وحشى ، فجعله إماما واستكثر من أشباهه ووشح شعره بنظائره ، إن هذا لعين الخطأ وغاية فى سوء الاختيار ،

قال ذلك ثم أخذ يسوق أمثلة لكل تلك الأنواع ، ويعلق عليها مطيلا أو مقصراً ، وهذا بعض ماساق ،

قال عن قبح الاستعارة، فمن مرذول ألفاظه وقبيح استعاراته قوله :

يا دهر قوم أخدعيك فقد أضججت هذا الأنام من خرقك

فجعل كما ترى مع غثاثة الألفاظ للدهر أخدعين ، وأى ضرورة دعته اليهما ، وكان يمكنه أن يقول قوم من اعوجاجك أو من تعوج صنعك أى أحسن بنا الصنيع ، لأن الاخرق هو الذى لا يحسن العمل وضده الصنع ، وهذه استعارة فى غاية القباحة والهجانة والبعد من الصواب ، وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه أو يشبهه فى بعض أحواله ، أو كان سببا من أسبابه ، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشىء الذى استعيرت له وملائمة لمعناه ، وقد أوصل الامثلة فى هذا إلى الثلاثين .

وقال عن قبح التجنيس ، ورأى أبو تمام المجانس من اللفظ شرفا فى أشعار الأوائل ، وهو ما اشتق بعضه من بعض ، وكان يأتى منه فى القصيدة ، البيت الواحد والبيتان ، على حسب ما يتفق للشاعر ويحضر فى خاطره ، فمنى أكثر شعره عليه ، فلو كان قلل منه واقتصر على مثل قوله « يا ربع لو ربعوا على ابن هموم » وقوله « أرامة كنت مألف كل ريم » وقوله « يا بعد غاية دمع العين إن بعدوا » وأشباه هذا من الالفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى ، لكان قد أتى بالغرض وتخلص من الهجنة والعيب ، فاما أن يقول :

قرت بقران عين الدين وانشترت بالأشترين عيون الشرك فاصطلما

فانشتار عيون الشرك فى غاية الغثاثة والقباحة ، وأيضاً فان انشتار العين ليس بموجب للاصطلام ، وبعد أن ذكر من هذا النوع خمسة أبيات قال ، وقد عابه ابن المعتز ببعض هذه الأبيات فى كتابه البديع لقبح التجنيس .

وقال عن مستكره الطباق ، ورأى الطباق فى أشعار العرب فأكثر وتكلف ولو اقتصر على ماتفق له فى هذا الفن من حلو اللفظ وصحيح المعنى كقوله « نثرت فريد مدامع لم تنظم » وتجنب مثل قوله :

قد لان أكثر ماتريد وبعضه خشن وأنى بالنجاح لواثق

ونحوه مما يكثر إن ذكرته لسقط أكثر ماعيب عليه فيه

وقال عن سوء النظم ، وهذا باب فى سوء نظمه وتعقيد ألفاظ نسجه ووحشيها ، وأنا أذكر هنا ما اليه قصدت من سائر ما فى شعر أبى تمام من هذه الأنواع وهى كثيرة ، وأورد من كل نوع قليلا يستدل به على الكثير ، فأقول ، فمن معاظلة أبى تمام وهى مداخلة الكلام بعضه فى بعض وركوب بعضه لبعض قوله

خان الصفاء أخ خان الزمان أخا عنه فلم يتخون جسمه الكمد

فانظر إلى أكثر ألفاظ هذا البيت وهى سبع كلمات آخرها قوله «عنه» ما أشد تشبث بعضها ببعض وما أقبح ما اعتمده من إدخال ألفاظ فى البيت من أجل مايشبهها وهى قوله خان وخان ويتخون ، وقوله أخ وأخا ، فاذا تأملت المعنى وما أفسده من اللفظ لم تجد له حلاوة ولا فيه كبير فائدة ، لأنه يريد « خان الصفاء أخ خان الزمان أخا من أجله إن لم يتخون جسمه الكمد» وبعد أن أورد ثلاثة أبيات أخرى قال، فاذا تأملت شعره وجدت أكثره مبنيا على مثل هذا وأشباهه ، وقد ذكرت من هذه الأمثلة فى شعره مادل على سواها .

ومن الحوشى الذى كان يتتبعه ، ويتطلبه ويتعمد إدخاله فى شعره قوله

أهيس أليس لجـــاء إلى همم تغرق الأسد فى آذيها الليســـا

يريد بالأهيس الخفيف اللحم وبالأليس الشجاع البطل ، وهاتان لفظتان مستكرهتان إذا اجتمعتا ، ومع ذلك لم يقنع بهما حتى قال فى آخر البيت الليس ثانية ،

ومما كثر فى شعره من الزحاف واضطراب الوزن قوله:

وأنت بمصر غايتى وقرابتى بها وبنو أبيك بنو أبى

وهذا من أبيات النوع الثانى من الطويل ووزنه فعولن مفاعيلن وعروضه وضربه مفاعل ، فحذف نون فعولن من الأجزاء الثلاثة الأول ، وحذف

الياء من مفاعيلن التي في المصراع الثاني، وذلك كله يسمى مقبوضا لأنه حذف خامسه ، وبعد أن ذكر ستة أبيات أخرى ، قال وهذه الزحافات جائزة في الشعر غير منكرة إذا قلت ، أما إذا جاءت في بيت واحد في أكثر أجزائه فانها تكون نهاية القبح ، ويكون البيت بالكلام المنثور أشبه منه بالشعر الموزون ، ثم قال ومثل هذه الأبيات في شعره كثير إذا أنت تتبعته، ولا تكاد ترى في أشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر ، من هذا الجنس شيئا .

معايب البحتري :

وبعد أن انتهى من أبي تمام إلى ماذكرنا ، قال « ولما كنت خرجت مساوى أبي تمام ، وابتدأت بسرقاته . وجب أن أبتدى من مساوى البحتري بسرقاته ، فانه أخذ من معاني من تقدم من الشعراء ومن تأخر أخذا كثيراً، حكى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح أن ابن أبي طاهر أعلمه ، أنه أخرج للبحتري ستمائة بيت مسروق، منها ما أخذه من أبي تمام خاصة مائة بيت ، فكان ينبغي ألا أذكر السرقات فيما أخرجه من مساوى هذين الشاعرين ، لأني قدمت القول في أن من أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوى الشعراء وخاصة المتأخرين ، إذ كان هذا بابا ما تعرى منه متقدم ولا متأخر ، ولكن أصحاب أبي تمام ادعوا أنه أول سابق وأنه أصل في الابتداع والاختراع ، فوجب إخراج ما استعار من معاني الناس ، ووجب من أجل ذلك إخراج ما أخذه البحتري أيضا من معاني الشعر ، ولم أستقص باب البحتري ولا قصدت الاهتمام إلى تتبعه ، لأن أصحابه ما ادعوا ما ادعاه أصحاب أبي تمام ، بل استقصيت ما أخذه من أبي تمام خاصة ، إذ كان من أقبح المساوى ، أن يتعمد الشاعر ديوان رجل واحد من الشعراء، فيأخذ من معانيه ولو كان عشرة أبيات ، فكيف والذي أخذه البحتري من أبي تمام يزيد على مائة بيت ، فأما مساوي

البحترى من غير السرقات فقد دققت واجتهدت أن أظفر له بشيء يكون بأزاء ماأخرجته من مساوى أبى تمام فى سائر الأنواع التى ذكرتها ، فلم أجد فى شعره ـ لشدة تحرزه وجودة طبعه وتهذيبه ألفاظه ـ من ذلك إلا أبياتا يسيرة أنا أذكرها عند الفراغ من سرقاته .

قال ذلك ثم أخذ يعدد سرقات البحترى من غير أبى تمام فبلغ بها نحو الثلاثين وقال ، فهذا ما مر بى من سرقات البحترى من أشعار الناس على غير تتبع ، ولعلى لو استقصيتها لكانت نحو ماخرجته من سرقات أبى تمام وتزيد عليها ، ثم قال ، وهذا ماأخذه البحترى من معانى أبى تمام خاصة مما نقلته من صحيح ماخرجه الضياء بشر بن تمام الكاتب ، لأنه استقصى ذلك استقصاء بالغ فيه حتى تجاوز إلى ماليس بمسروق فكفنا مئونة الطلب . وذكر عقب ذلك نيفا وستين سرقة ، تاركا من المائة التى عددها أبو الضياء نيفا وثلاثين لم يعدها من السرقة ، إما لأنها من المعانى المشتركة بين الناس، الجارية فى عاداتهم والمستعملة فى أمثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع الظنة فيه عن الذى يورده أن يقال أخذه من غيره ، وإما لأنها لاتناسب ولا تقارب بين المعنيين فيها وليس إلا اتفاق وألفاظ ليس مثلها مما يحتاج واحد أن يأخذه من آخر ، إذ كانت الألفاظ مباحة غير محظورة ، ومثل لذلك بالنيف والثلاثين المذكورة ، وهذى أمثلة لكل نوع مما ذكر .

فما أخذه من غير أبى تمام قوله :

قوم ترى أرماحهم يوم الوغى مشغوفة بمواطن الكتمان

وهو مأخوذ من قول عمرو بن معد يكرب الزبيدى :

الضاربين بكل أبيض مرهف والطاعنين مجامع الأضغان

إلا أن قول عمرو فى غاية الجودة والاصابة ، لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم ، فاذا وقع الطعن موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب .

ومما أخذه من أبى تمام قوله :

قوم إذا لبسوا الدروع لموقف لبسوا من الإيمان فيه دروعا

أخذه من قول أبي تمام

وتلبس أخلاقا كراما كأنها على العرض من فرط الحصانة أدرع

ومما لم يعده الآمدي سرقة لتداول معناه قول البحتري

وأيامنا فيك اللواتي تصرمت مع الوصل أضغاث وأحلام نائم

على أنه مأخوذ من قول أبي تمام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

أنكر على أبي الضياء عد هذا سرقة فقال « وكأنه ماسمع الناس يقولون ما كان الشباب إلا حلما وما كانت أيامه إلا نومة نائم »

ومما لم يعده سرقة لعدم تناسب المعنى وتقاربه ، مع الاتحاد في بعض الألفاظ قوله

ومبجل وسط الرجال خفوقهم لقيامه ، وقيامهم لقعوده

أنكر على أبي الضياء عد هذا مأخوذا من قول أبي تمام

إذا شب نارا أقعدت كل قائم وقام لها من خوفة كل قاعد

وقال « ليس أحد المعنيين من الآخر في شيء لأن أبا تمام أراد أن الممدوح إذا شب نار الحرب أقعدت كل قائم لقتاله ومنابذته خوفا وفرقا ، وأزالت كل قاعد عن الطمأنينة والقرار فقام منزعجا ، والبحتري إنما ذكر أن الرجال يخفون لقيام ممدوحه أي يسرعون بين يديه إذا قام ، فإذا قعد قاموا له إجلالا وهيبة ، لأن من شأنه ألا يجلس أحد بجلوسه وأن يكون الناس كلهم قياما إذا جلس ، والمعنيان مختلفان وليس بينهما اتفاق إلا في ذكر القيام والقعود والألفاظ مباحة :

وقد عد من أخطائه في المعاني عشرين مثلا سود في التعليق على بعضها ثلاث صفحات ، منها قوله :

قف العيس قد أدنى خطاها كلالها وسل دار سعدى إن شفاك سؤالها

قال الآمدي هذا لفظ حسن ومعنى ليس بالجيد ، لأنه قال قد أدنى خطاها كلالها أي قارب من خطوها الكلال ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال

الدار التى تعرض لأن يشفيه سؤالها ، وإنما وقف لأعياء المطى ، والجيد قول عنترة لأنه لما ذكر الوقوف على الدار احتاط بأن شبه ناقته بالقصر فقال :

فوقفت فيهـــا ناقتى وكأنها فدن لأقضى حاجة المتلوم

قال ذلك ليعلم أنه لم يقف بها ليريحها .وقد كشف عن هذا المعنى ذو الرمة فأحسن وأجاد حيث قال :

أنخت بها الوجناء لامن سآمة لثنتين بين اثنين جاء وذاهب

فان قيل فأنما قال قد أدنى خطاها كلالها ليعلم أنه قصد الدار من شقة بعيدة ، قيل العرب لاتقصد الدار للوقوف عليها وانما تحتاز بها فان كانت على سنن الطريق قال لصاحبه قف ، وإن لم تكن عليه قال عج أى عرج

ومما عيب عليه من التعسف والتعقيد فى اللفظ قوله

فتى لم يمل بالنفس منه عن العلا الى غيرها شىء سواه مميلها

فان الضمير فى سواه يعود على فتى أى سواه من الأشخاص هو الذى يميل نفسه عن العلا، لا على شىء الذى هو فاعل يميل . وعلى سلامة البيت بهذا التخريج من عيب اللحن لم يسلم من عيب التعسف ، قال الآمدى ولست أعرف بيتا تعسف فى نظمه غير هذا

قال ومن ردىء التجنيس وقبيحه قوله

أمنا أن تصرع عن سماح وللآمال فى يدك اصـــطراع

يقول أمنا أن يغلبك غالب يصرعك عن السماح ويمنعك منه وللآمال فى يدك اصطراع،أى تنافس وتغالب فى ازدحام ،وقوله فى يدك لأن العطاء اليها ينسب .

وقال عن اضطراب الوزن فى شعر البحترى ، وقد جاء فى شعره بيت هو عندى أقبح من كل ماعيب به أبو تمام فى هذا الباب وهو قوله :

ولماذا تتبع النفس شيئا جعل الله الفردوس منه هواء

قال كذلك وجدته فى أكثر النسخ وهو خارج عن الوزن لأنه الأول من الخفيف الذى وزنه فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مرتين ، دخله كثير من الزحاف بالحذف كما دخله الاكتفاء حيث زيد فيه سبب خفيف هو هاء الله . ولام الفردوس ، . وأخيراً قال وما رأيت شيئا مما عيب به أبو تمام الا وجدت فى شعر البحترى مثله ، الا أنه فى شعر أبى تمام كثير وفى شعر البحترى قليل .

الموازنة بين الطائيين : —

قال الآمدى ، وأنا أذكر بأذن الله الآن فى هذا الجزء ، المعانى التى يتفق فيها الطائيان فأوازن بين معنى ومعنى وأقول أيهما أشعر فى ذلك المعنى بعينه ؛ فلا تطلبنى أن أتعدى هذا إلى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندى على الاطلاق ، فانى غير فاعل ذلك ، لأنك إن قلدتنى لم تحصل لك الفائدة بالتقليد ، وإن طالبت بالعلل والأسباب التى أوجبت التفضيل فقد أخبرتك فيما تقدم بما أحاط به علمى من نعت مذهبيهما وذكر مطلوبيهما ، فى سرقة معانى الناس وفى إحالتهما وغلطهما فى المعانى والألفاظ ، وإساءة من أساء منهما فى الطباق والتجنيس والاستعارة ورداءة النظم واضطراب الوزن ، وغير ذلك مما اوضحته فى مواضعه وبنيته وما سيعود ذكره فى الموازنة من هذه الأنواع على مايقوده القول وتقتضيه الحجة ، وماستراه من محاسنهما وبدائعهما وكيف أوقع الكلام على جميع ذلك وعلى سائر أغراضهما ومعانيهما فى الأشعار التى أرتبها فى الأبواب وأنبه على الجيد وأفضله على الردى وأبين الردى وأرذله ، وأذكر من علل الجميع ماينتهى اليه التخليص وتحيط به العناية ويبقى مالم يمكن إخراجه الى البيان وإظهاره إلى الاحتجاج ، وهو علة مالا يعرف الا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة ، وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة ، من سواهم ممن نقصت قريحته وقلت دربته بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الطباع وامتزاج ، وإلا لا يتم ذلك ،

وأكلك بعد هذا الى اختيارك وما تقضى عليه فطنتك وتمييزك ، فينبغى أن تتم النظر فيما يرد عليك ، ولن ينتفع بالنظر الا من يحسن أن يتأمل ، ومن إذا تأمل علم ومن إذا علم أنصف . ثم بعد ذلك أخذ يفصل القول فى علم الشعر وأنه فن يحتاج إلى استعداد ودربة كسائر الفنون ، وأن منه ماتحيط به المعرفة ولاتؤديه الصفة ، وأن نهاية البصيرة فيه معرفة هذه الصفة أو الوقوف عند تلك الاحاطة ، وشرع فى تطبيق ذلك على محاسن أبى تمام تارة وعلى محاسن البحترى أخرى ، وقال بعد ذلك التفصيل الذى استغرق ست صفحات « وأنا أجمع لك معانى هذا الباب فى كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم بالشعر ، زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لاتجود وتستحكم إلا بأربعة أشياء ، جـــودة الآلة ، وإصابة الغرض المقصود ، وصحة التأليف والانتهاء إلى نهاية الصفة من غير نقص منها ولا زيادة عليها » ثم شرح ذلك فى أكثر من صفحة ، وبعد الشرح دخل فى الموازنة فقال « وأنا أبتدىء باذن الله منها بذكر الوقوف على الديار والآثار ووصف الدمن والأطلال ، والسلام عليها وتعفية الدهور والأزمان والرياح والأمطار إياها ، والدعاء بالسقيا لها والبكاء فيها ، وذكر استعجامها عن جواب سائلها ، وما يخلف قطينها الذين كانوا حلولا بها من الوحش ، وفى تعنيف الصحب على لومهم على الوقوف بها ، ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونعوتها ، وأقدم من ذلك ابتداءات قصائدهم فى هذه المعانى إن شاء الله » ه

وبعد فهذى واحدة من تلك الموازنات ، قال أبو تمام فى وصف الديار والبكاء عليها فأحسن وأغرب .

أما الرسوم فقد أذكرت ما سلفا فلا تكفن من شأنيك أو يكفا
لاعذر للصب أن يفنى السلو ولا للدمع بعد مضى الحى أن يكفا
حتى يظل بماء سافح ودم فى الربع يحسب من عينيه قد رعفا

وهذا المعنى الأخير ليس له وإنما أخذه من قول أبي وجزة

عيون ترامى بالرعاف كأنه ° من الشوق صردان تدب وتلمع

قيل فى تفسيره ، شبه الدمع وقد عصفره الدم بالرعاف ، وشبه العيون وهى تفيض بالدمع تارة وتحبسه أخرى بالصردان تنتفض تارة وتظهر عرضا من الأرض تارة ، وبيت أبي تمام أجود لفظا ونظما ، ولا أظن البحترى ذهب الى مثل هذا المعنى ولا للمعنى الذى فى البيتين قبله ، ولكنه يعتذر مرة بقلة دمعه ، ومرة يفتخر بكثرته ، وفى كل ذلك يحسن ويجيد .

فمن اعتذاره قوله :

فيما ابتداركما الملام ولوعا أبكيت الا دمنة وربوعا

يادار غيرها الزمان وفرقت أيدى الحوادث شملها المجموعا

لو كان لى دمع يحسن لوعتى خليته فى عرصتك خليعا

لا تخطبى دمعى الى فلم يدع فى مقلتى جوى الفراق دموعا

فبقوله فى ابتداء القصيدة « أبكيت إلا دمنة وربوعا » قد أخبر أنه بكى ثم قال « لو كان لى دمع يحسن لوعتى » أى لو كان لى دمع غزير يليق بلوعتى وينبىء عنها ، وكذلك قوله « فلم يدع فى مقلتى جوى الفراق دموعا » أى دموعا كافية أرضاها أو دموعا تسعنى ، لأنه استقل دمعه واستنزره ، أو أن يكون انقطع دمعه ، ومن افتخاره قوله :

لعمرك إن الدارسات لقد غدت بريا سعاد وهى طيبة العرف

بكينا فمن دمع يمازجه دم هناك ومن دمع نجود به صرف

وهذا حسن جدا ، وإنما أخذ قوله « بريا سعاد وهى طيبة العرف » من قول الآخر ، أنشده الأخفش عن المبرد ،

واستودعت نشرها الديار فما تزداد إلا طيبا على القدم

وهذا أجود من بيت البحترى لما فيه من الزيادة الحسنة وهى قوله « فما تزداد إلا طيبا على القدم » . .

٢ ـ الجرجانى فى كتاب الوساطة بين المتنبى وخصومه

قال الجرجانى فى وساطته بين المتنبى وخصومه من المقدمة البالغة نحو الخمسين صفحة ، حول ماينبغى أن يكون عليه الحكم فى الأنصاف « ومازلت أرى أهل الأدب منذ ألحقتنى الرغبة بجملتهم » ، ووصلت العناية بينى وبينهم ، فى أبى الطيب أحمد بن الحسين المتنبى فئتين ، فمن مطنب فى تقريظه منقطع إليه بجملته منحط فى هواه بلسانه وقلبه ، يتلقى مناقبه إذا ذكرت بالتعظيم ويشيع محاسنه إذا حكيت بالتفخيم ، ويعجب ويعيد ويكرر ويميل على من عابه بالزراية والتقصير ، ويتناول من ينقصه بالاستحقار والتجهيل ، فان عثر على بيت مختل النظام أو نبه على لفظ ناقص عن التمام ، التزم من نصرة خطئه وتحسين زلله ، مايزيله عن موقف المعتذر ويتجاوز به مقام المنتصر . ومن عائب يروم إزالته عن رتبته ، فلا يسلم له فضله ، ويحاول حطه عن منزلة بوأه إياها أدبه ، فهو يجتهد فى إخفاء فضائله وإظهار معايبه وتتبع سقطاته وإذاعة غفلاته . وكلا الفريقين اما ظالم له أو للأدب فيه . وكما أن الانتصار جانب من العدل لايسده الاعتذار ، فكذلك الاعتذار جانب هو أولى به من الانتصار ، ومن لم يفرق بينهما وقفت به الملامة بين تفريط المقصر وإسراف المفرط ، وقد جعل الله لكل شىء قدرا وأقام بين كل حديث فصلا ، وليس يطالب البشر بما ليس فى طبع البشر ولا يلتمس عند الآدمى إلا ما كان فى طبيعة ولد آدم ، واذا كانت الخلقة مبنية على السهو وممزوجة بالنسيان ، فاستسقاط من عز حاله حيف والتحامل عن من له وجه ظلم ، وللفضل آثار ظاهرة وللتقدم شواهد صادقة ، فمتى وجدت تلك الآثار وشوهدت هذه الشواهد ، فصاحبها فاضل متقدم ، فان عثر له من بعد على زلة ووجدت له بعقب الأحسان هفوة ، انتحل له عذر صادق أو رخصة سائغة ، فان أعوز ، قبل زلة عالم وقل من خلا منها وأى الرجال المهذب ، ولولا هذه المحكومة لبطل التفضيل ، ولم يكن لقولنا « فاضل » معنى يوجد أبدا ، ولم نسم به إذا

أردنا حقيقة أحداً ، وأى عالم سمعت به ولم يزل ويغلط أو شاعر انتهى اليك ذكره لم يهف ولم يسقط ، ودونك هذه الدواوين الجاهلية والاسلامية فانظر ، هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه ، إما فى لفظه ونظمه أو ترتيبه وتقسيمه أو معناه أو إعرابه » إلى هنا وأخذ يسوق أمثلة عدة لمآخذ متنوعة على شعراء الجاهلية والإسلام ، خرج منها إلى التعريف بالشعر فكان مما قال : —

« وأنا أقول أيدك الله ، إن الشعر علم من علوم العرب ، يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الأصالة ، ولست أفضل فى هذه القضية بين القديم والمحدث والجاهل والمخضرم والأعراب والمولد ، إلا أننى أرى حاجة المحدث إلى الرواية أمس ، وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر ، فاذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها والعلة فيها ، أن المطبوع الذكى ، لا يمكنه تناول ألفاظ العرب إلا رواية ، ولا طريق للرواية إلا السمع ، وملاك الرواية الحفظ ، وقد كانت العرب تروى وتحفظ ويعرف بعضها برواية شعر بعض ، وبعد أن أطنب القول فى ذلك وأتبعه بتفاوت الشعراء فى الشعر ، وتأثير الطباع والأمكنة فى رقته وجفائه ، قال « فلما ضرب الإسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر ونزعت البوادى إلى القرى ونشأ التأدب والتظرف ، اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله ... وتجاوزوا الحد فى طلب التسهيل حتى تسمحوا ببعض اللحن وحتى خالطتهم الركاكة والعجمة ، وأعانهم على ذلك لين الحضارة وسهولة طباع الأخلاق ، فانتقلت العادة وتغير الرسم واقتسخت هذه الشبه ، واحتذوا بشعرهم هذا المثال ، فترفقوا ما أمكن وكسوا معانيهم ألطف ما سنح من الألفاظ ، فصارت إذا قيست بذلك الكلام الأول ، يتبين فيها اللين فيظن ضعفا . وإذا أفردت عاد ذلك اللين صفاء ورونقا ، وصار ما تخيلته ضعفا رشاقة ولطفا ، فان رام أحدهم الأغراب والاقتداء بمن مضى من

القدماء ، لم يتمكن من بعض مايروم إلا بأشد تكلف وأتم تصنع ، ومع التكلف المقت ، وللنفس عن التصنع نفرة ، وفى مفارقة الطبع قلة الحلاوة وذهاب الرونق وإخلاق الديباجة ، وربما كان ذلك سببا لطمس المحاسن ، كالذى نجده كثيراً فى شعر أبى تمام ، فانه حاول من بين المحدثين ، الاقتداء بالأوائل فى كثير من ألفاظه فحصل منه على توعير اللفظ وتبجح فى غير موضع من شعره » قال هذا ومثل له بما لم يرضه من شعر أبى تمام مقارنا إياه بما ارتفع فيه إلى الأوج وقال « ولست أقول هذا غضا من أبى تمام ولا تهجينا لشعره ولا عصبية عليه لغيره ، وكيف وأنا أدين بفضله وتقديمه وأنتحل موالاته وتعظيمه وأراه قبلة أصحاب المعانى وقدوة أهل البديع ، لكن ماسمحتنى أشترطه فى صدر هذه الرسالة ، يحظر إلا اتباع الحق وتحرى العدل والحكم به له أو عليه » ثم عاد إلى مثل الذى كان فيه من شعر أبى تمام وخرج منه إلا أن الشعر أنواع وفنون ، وأنه لايحسن أن يجريها الشاعر مجرى واحدا من حيث الألفاظ ، بل عليه أن يقسم ألفاظها على رتب معانيها فلا يكون غزله كافتخاره ، ولا قوله فى وصف ميدان الحرب والسلاح كقوله فى وصف مجلس الشرب والمدام ، وهكذا ، وأشار بتصفح شعر جرير وأبى الرمة ، وتتبع نسيب متيمى العرب ومتغزلى أهل الحجاز ، كعمر وكثير ونصيب فى القدماء ، ليعرف موقع اللفظ الرشيق من القلب وعظيم غنائه فى تحسين الشعر ، ثم قال « ومتى أردت أن تعرف ذلك عيانا وتستثبته مواجهة ، لتعرف فرق مابين المطبوع والمصنوع ، وتصل مابين السمح المنقاد والغصب المستكره ، فاعمد إلى شعر البحترى فى المتأخرين ، ودع مايصدر به الاختيار ويعد فى أول مراتب الجودة ويتبين فيه أثر الاحتفال ، وعليك بما قاله عن عفو خاطره وأول فكرته » وبعد أن ذكر لهذا عدة أمثلة من نسيبه قال « وانظر هل تجد معنى مبتذلا ولفظا مشتهرا مستعملا ، وهل ترى صنعة وإبداعا أو تدقيقا وإغرابا وتأمل كيف تجد نفسك عند إنشاده ، وتفقد مايداخلك من الارتياح ويستخفك من الطرب إذا سمعته ، وتذكر صبوة إن كانت لك ، تراها ممثلة لضميرك

ومصورة تلقاء ناظرك ، فإن قلت هذا نسيب والنفس تهش له والقلب يعلق به والهوى يستريح اليه ، فأنشد له فى المديح واخرج إلى الاستعطاف وخذ فى العتاب » وبعد تمثيله لذلك أيضا قال « وإنما أحلتك على البحترى لأنه أقرب بنا عهداً ونحن به أشد أنساً وكلامه أليق بطباعنا وأشبه بعاداتنا ، وإنما تألف النفس ماجانسها وتقبل على الأقرب فالأقرب إليها » ولما لم يكن قد مثل لما أشار إليه من شعر القدامى انثنى يقول « فان شئت أن تعرف ذلك فى شعر غيره كما عرفته فى شعره وأن تعتبر القديم كاعتبار المولد ، فأنشد قول جرير :

ألا أيها الوادى الذى ضم سيله إلينا نوى ظمياء حييت واديا

واستمر فى القصيدة حتى أكملها أربعة وثلاثين بيتا وقال « وإنما أثبت لك القصيدة بكاملها ، ونسختها على هيئتها ، لترى تناسب أبياتها وازدواجها واستواء أطرافها واشتباهها وملاءمة بعضها لبعض ، مع كثرة التصرف على اختلاف المعانى والأغراض » وأخذ يوازن بينها وبين شعر شاكلها للجاهليين والاسلاميين ، مفضلا إياها ، وعطف على ما للاعراب والاسلاميين وبعض المحدثين من جيد يشاركها ، وعرج بعد ذلك على ما لم يكن يعيره هؤلاء التفاتا من ألوان الصنعة فى التجنيس والتصحيف والمطابقة والتقسيم وعدم الحفل بالابداع والاستعارة ، كما يفعل سائر المحدثين ؛ ممثلا لذلك بالكثير من شعر هؤلاء ؛ إلى أن قال فى نهاية المقدمة « وإنما قدمنا هذه النبذ توطئة لما نذكره على أثرها وتدريجا إلى ما بعد ، ليكون كالشاهد المقبول قوله وبمنزلة المسلم أمره ، والشاعر الحاذق يجتهد فى تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة ، فإنها المواقف التى تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم الى الاصغاء ، ولم تكن الأوائل تخصها بفضل مراعاة ، وقد احتذى البحترى على مثالهم إلا فى الاستهلال فانه عنى به فاتفقت له فيه محاسن ، فأما أبو تمام والمتنبى فقد ذهبا فى التخلص كل مذهب واهتما كل اهتمام ، واتفق للمتنبى فيه خاصة ما بلغ المراد وأحسن وزاد » .

تلك هي النقاط التي تناولها الجرجاني في وساطته بين المتنبي وخصومه ، ومنها خرج إلى ما تكلفه من الوساطة فقال : ثم نعدل إلى ما تكلفناه في هذه الوساطة فنقول : إن خصم هذا الرجل فريقان ، أحدهما يعم بالنقص كل محدث ولا يرى الشعر إلا القديم الجاهلي ، وما سلك ذلك المنهج وجرى على تلك الطريقة . ويزعم أن ساقة الشعراء رؤبة وابن هرمة وابن ميادة والحكم الحضرمي ، فاذا انتهى إلى من بعدهم كبشار وأبي نواس وطبقتهم سمى شعرهم ملحا وظرفا ، واستحسن منه البيت بعد البيت استحسان النادرة وأجراه مجرى الفكاهة ، فاذا نزلت به إلى أبي تمام وطبقته نفض يده وأقسم واجتهد أن القوم لم يقرضوا بيتا ولم يقعوا من الشعر إلا بالبعد ، ومن هذا رأيه ومذهبه وهذه دعواه ونحلته ، فقد أعطاك ما أردت من وجه وإن مانعك سواه ، وسمح لك بما التمست وإن التوى عليك في غيره ، لأن الذي انتصبت له وشغلت عنايتك به ، إنما هو إلحاق أبي الطيب بهذه الطبقة وإضافته إلى هذه الجملة ، وقد بذل ذلك وقرب مطلبه عليك ، فان تكن الجماعة منسلخة من الشعر موسومة بالنقص مستحقة للنفي ، فصاحبك أولهم ، وان تكن قد علقت منه بسبب وحظيت منه بطائل فهو كأحدهم... والآخر وهو خصمك الألد ومخالفك المعاند ، من استحسن رأيك في إنصاف شاعر ثم ألزمك الحيف على غيره ، وساعدك على تقديم رجل ثم كلفك تأخير مثله ، فهو يسابقك إلى مدح أبي تمام والبحتري ، ويسوغ لك تقريظ ابن المعتز وابن الرومي ، حتى إذا ماذكرت أبا الطيب ببعض فضائله وأسميته في عداد من يقصر عن رتبته ، امتعض امتعاض الموتور ونفر نفار المضيم ، فنفض طرفه وثنى عطفه وصعر خده وأخذته العزة بالأثم . وبعد فأنا أقبل عليك أيها الراوي المتثبت فأقول لك ، خبرني عمن تنظمه من أوائل الشعراء ومن تفتتح به طبقات المحدثين ، هل خلص لك شعر أحدهم من شائبة وصفا من كدر ومعابة ، فان ادعيت ذلك وجدت العيان حجيجك والمشاهدة خصمك ، فان قلت قد أعثر بالبيت بعد البيت أنكره ، وأجد اللفظ بعد اللفظ

لا أستحسنه ، وليست كل معانيهم عندى مرضية ولا جميع مقاصدهم صحيحة مستقيمة ، قلنا ، فأبو الطيب واحد من الجملة فكيف خص بالظلم من بينها ، ورجل من الجماعة فلم أفرد بالحيف دونها ، وإن قلت كثر زلله وقل إحسانه واتسعت معايبه وضاقت محاسنه ، قلنا هذا ديوانه حاضراً وشعره موجودا ممكنا ، هلم نستبرئه ونتصفحه ونقلبه ونمتحنه ، ثم لك بكل سيئة عشر حسنات وبكل نقيصة عشر فضائل .... ذلك رأى الجرجانى فى حجتى خصمى المتنبى ، أما رأيه هو فيه فيضح من قوله لمن يحاجه « إنك لا تدعى لأبى الطيب طريقة بشار وأبى نواس ، ولا منهاج أشجع والخريمى ، ولو ادعيته لكنت تخادع نفسك أو تباهت عقلك ، وإنما أنت أحد رجلين ، إما أن تدعى له الصنعة المحضة فتلحقه بأبى تمام وتجعله من حزبه ، أو تدعى له فيه شركا وفى الطبع حظا ، فان ملت به نحو الصنعة فضل ميل صيرته فى جنب مسلم ، وإن وفرت قسطه من الطبع عدلت به قليلا نحو البحترى ، وأنا أرى لك إذا كنت متوخيا للعدالة مؤثرا للانصاف ، أن تقسم شعره فتجعله فى الصدر الأول تابعاً لأبى تمام ، وفيما بعده واسطة بينه وبين مسلم ، وبعد أن جال جولة طويلة فيمن لهج بعيب المتأخرين من حفاظ اللغة وجلة الرواة وإن أحسنوا ، ناعيا عليهم هذا العيب ، وبين ما للمحدثين من إحسان كبير بجانب إساءات قليلة ووازن بين حسناتهم والسيئات فى شعر أبى نواس وأبى تمام ضاربا لذلك الكثير من الأمثال ، صرح بأنه لم يبغ من وراء هذا ذكر الهنوات ، وإنما بغى الاعتذار لأبى الطيب لا النعى على أبى نواس وأبى تمام فقال مخاطبا من يخاصم ويحاج « وإنما خصصت أبا نواس وأبا تمام لأجمع لك بين سيد المطبوعين وإمام أهل الصنعة فأريك أن فضلهما لم يحمهما من ذلك ، وأن إحسانهما لم يصف من كدر ، فان أنصفت فلك فيهما عبرة ومقنع ، وإن لججت فما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » ، وبعدئذ دخل دخولا حقا فى تحليل شعر المتنبى تحليلا ينبىء عن معايبه أو يشيد بمحاسنه . ولم يغفل أمر الموازنة

بينه وبين غيره ، وسأسلك فى عرض آرائه الطريق التى سلكها الآمدى فى أبى تمام والبحترى وإن خالفت ترتيب الوساطة .

١ ـ المتنبى والسرقة

اختار الجرجانى فى كتابه أسلوب الخطاب لخصيم المتنبى فى محاجته كما رأيت فيما سبق من المقدمة ، وعليه سار فى سائر ماتناوله بالكتاب ، وحين تعرض للكلام على سرقات المتنبى قدم لها بالتكلم فى السرقة على وجه عام ثم أخذ يعدد سرقات المتنبى فسود فى ذلك نحو نصف كتابه وكان مما قال « وهذا باب لاينهض به إلا الناقد البصير والعالم المبرز ، وليس كل من تعرض له أدركه ولا كل من أدركه استوفاه واستكمله ، ولست تعد من جهابذة الكلام ونقاد الشعر ، حتى تميز بين أصنافه وأقسامه وتحيط علما برتبه ومنازله ، فتفصل بين السرقة والغصب وبين الاغارة والاختلاس ، وتفرق بين المشترك الذى لايجوز ادعاء السرق فيه والمبتذل الذى ليس أحد أولى به ، وبين المختص الذى حازه المبتدىء فملكه وأحياه السابق فاقتطعه ، فصار المعتدى مختلسا سارقا والمشارك له محتذيا تابعا ، وتعرف اللفظ الذى يجوز أن يقال فيه أخذ ونقل والكلمة التى يصح أن يقال فيها هى لفلان دون فلان ـ إلى أن قال ـ فإذا اعتبرت مايصح فيه الاختراع والابتداع فوجدت منه مستفيضا متداولا متناقلا لايعد فى عصرنا مسروقا ولا يحسب مأخوذا وإن كان الأصل فيه لمن انفرد به ولأوله الذى سبق اليه ـ إذا اعتبرت ذلك ـ تصنف لك صنفان ، صنف مشترك عام الشركة لاينفرد واحد منه بسهم ولايختص بقسم ، كحسن الشمس والقمر ومضاء السيف وبلادة الحمار وجود الغيث وحيرة المخبول ، ونحو ذلك مما هو مقرر فى البداية ومركب فى النفس ، وصنف سبق المتقدم إليه ففاز به ثم تداول بعد فكثر واستعمل حتى صار كالأول فى الجلاء والاستشهاد والاستفاضة على ألسن الشعراء فحمى نفسه عن السرق ، وأزال عن صاحبه مذلة الأخذ ، كتمثيل الطلل بالكتاب والفتاة بالغزال ، وأخيرا قال ،

« والسرق أيدك الله داء قديم وعيب عتيق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه ... ومتى أنصفت علمت أن أهل عصرنا ثم العصر الذي بعدنا أقرب فيه إلى المعذرة وأبعد من المذمة ، لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق اليها وأتى على معظمها ، وإنما يحصل الحاضر على بقايا ، إما أن تكون قد تركت رغبة عنها واستهانة بها أو لبعد مطلبها واعتياص مرامها وتعذر الوصول اليها ، ومتى أجهد أحدنا نفسه وأعمل فكره وأتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنه غريبا مبتدعا ، ونظم بيت يحسبه فريدا مخترعا ، ثم تصفح عنه الدواوين لم يخطىء أن يجده بعينه أو يجد له مثالا يغض من حسنه ، ولهذا السبب أحظر على نفسي ولا أرى لغيري بت الحكم على شاعر بالسرقة ، إلا أني إذا وجدت في شعره معاني كثيرة أجدها لغيره ، حكمت بأن فيها مأخوذا لا أثبته بعينه ومسروقا لا يتميز لي من غيره ، وإنما أقول قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا ، فأغتنم به فضيلة الصدق وأسلم من اقتحام التبور » .

قال ذلك ثم أخذ يحصي ما ادعى فيه على أبي الطيب السرقة وما أضافه هو اليه مما عثر به ، حتى جاوز في الاحصاء أربعمائة معنى ، سيان في ذلك ما كان السبق فيه لمحدث أو لغيره من إسلامي أو جاهلي أو لأكثر من واحد من هؤلاء ، وسيان في ذلك ما أساء فيه أبو الطيب الأخذ وما أجاد ، وهذي طائفة متنوعة من الأمثلة على ما ذكر :—

قال أبو تمام

وما سافرت في الآفاق إلا ... ومن جدواك راحلتي وزادي

أخذه أبو الطيب فقال

محبك حيثما اتجهت ركابي ... وضيفك حيث كنت من البلاد

وهذا من أقبح ما يكون من السرق ، لأنه يدل على نفسه باتفاق المعنى والوزن والقافية ، ومثل المصراع الأول لأبي الطيب وهو محتذ ، قول البحتري

متى ما أسير في البلاد ركابي ... أجد سائقي يهوى اليك وقائدي

وقد لاحظ أبو تمام قول المثقب

إلى عمرو ومن أثنى عليه أخى النجدات والحلم الرزين

وقال جرير

كأن رءوس القوم فوق رماحنا غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا

فقال مسلم

يكسو السيوف نفوس الناكثين به ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

أخذه المتنبى فقال

مبرقعى خيلهم بالبيض متخذى هام الكماة على أرماحهم عذبا

وقريب من قول جرير قول أبى تمام

أبدلت أرؤسهم يوم الكريهة من قنا الظهور قنا الخطى مدغما

ولست أرى هذا من سرقات أبى تمام ، لأنه ليس فيه أكثر من رفع الرءوس على القنا وهذا مشترك لا يسرق ، فأما إبدال القنا بقنا الظهور فلم يعرض له مسلم ولا جرير وهى ملاحظة بعيدة ، وأقرب من ذلك اليه قول أبى تمام

من كل ذى لمة غطت ضفائرها صدر القناة فكادت أن ترى علما

وقال عنترة

وأنا المنية فى المواقف كلها والطعن منى سابق الآجال

فقال أبو تمام

يكاد حين يلاقى القرن من حنق قبل السنان على حوبائه يرد

أخذه أبو الطيب فقال

يسابق سيفى منايا العبا د اليهم كأنهما فى رهان

ثم قلبه وغيره فقال

يكاد من طاعة الحمام له يقتل من ما دنا له أجل

وقال الأفوه الأودى

وترى الطير على آثارنا رأى عين ثقة أن ستمار

فقال النابغة

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدى بعصائب

وقال حميد بن ثور

إذا ما غدا يوما رأيت غمامة من الطير ينظرن الذي هو صانع

وقال أبو نوس

تتأبى الطير غدوته ثقة بالشبع من جزره

وقال أبو تمام

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى بعقبان طير فى الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنهـا لم تقاتل

أخذه أبو الطيب فقال

سحاب من العقبان يزحف تحتها سحاب إذا استسقت سقتها صوارمه

فزاد إذ جعلها سحابتين تسقى السفلى العليا وهـذا غريب ، وقد يصيبه المتكلمون فى هذا البيت بأمرين ، أحدهما أن السحاب لا يسقى ما فوقه ، والآخر أن العقبان والطير لا تستسقى وإنما تستطعم ، وأنا أقول ، فأما إسقاء السحاب ما فوقه فهو الذى أغرب به ، ولكن لم يجعل الجيش سحابا فى الحقيقة فيمتنع إسقاؤه ما فوقه وإنما أقامه مقام السحاب لتزاحمه وكثافته ، وقد فعلت العرب ذلك فى أشعارها ، ولما سماه سحابا جعله يستسقى ، وأما استسقاء الطير فجاء على عادة العرب فى استعارة هذه اللفظة لكل طالب تعظيما لقدر الماء عندهم . وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى فغيره ولطف فجاء كالمعنى المخترع ، فقال

يفدى أتم الطير عمرا سلاحه نسور الملا أحداثها والقشاعم

وما ضرها خلق بغير مخالب وقد خلقت أسيافه والقوائم

٢ – المتنبي وموقفه من غلط المعانى

للمتنبي معان وصفت بالفساد والاختلال ، أو التضارب والتناقض ، أو التقصير عن الغرض والوقوع دون القصد ، أو البعد فى الاستعارة والافراط فى الصنعة أو المبالغة والاحالة .

وقد عد الجرجانى أمثلة لكل منها ، وهذا بعض ما عد ، فمما وقع فيه من فساد المعانى واختلالها قوله

وعذلت أهل العشق حتى ذقته فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وصعوبة العشق وشدته على أهله لا توجب ألا يموت من لا يعشق فيعجب منه ، وإنما تقتضى أن كل من يعشق يموت وكأنه أراد كيف لا يموت من يعشق فذهب عن مراده ، كما حدث منه فى قوله :

ولعلى مؤمل بعض ما أبـــلغ باللطف من عزيز حميد

فانه يريد ولعل بالغ بعض ما أؤمل . ومنه قوله

خلائق لو حواها الزنج لانقلبوا ظمى الشفاه جماد الشعر عرانا

والزنجى لا يوجد إلا جعد الشعر وإنما تفرط الجعودة فيهم حتى تخرج عن حد الاعتدال ، فكيف ينقلبون من الجعودة إلى الجعودة . ومنه قوله

كأنه من علمه بالمقتل علم بقراط فصاد الأكحل

ولم يكن بقراط فصاداً ولا كان الفصد غالباً فى زمانه وإنما كثر بعده.

ومما وقع فيه من التضارب والتناقض قوله

الفاعل الفعل لم يفعل لشدته والقائل القول لم يترك ولم يقل

فكيف يكون القول غير متروك ولا مقول ، وهل هذه إلا مناقضة ظاهرة ، ومنه قوله

يفضح الشمس كلما ذرت الشمـــس بشمس منيرة سوداء

والشمس لا تكون سوداء والأنارة تضاد السواد ، فقد تصرف فى المناقضة كيف شاء ،

ومما وقع فيه من التقصير عن الغرض والوقوع دون القصد قوله

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه

فانه أراد التناهى فى إطالة الوقوف فبالغ فى تقصيره ، وكم عسى هذا الشحيح - بالغاً ما بلغ من الشح وواقعاً حيث وقع من البخل - أن يقف على طلب خاتمه وهو ما ليس يخفى فى الترب إذا طلب ولا يعسر وجوده إذا فتش . ومنه قوله يرثى أخت ممدوح

وهل سمحت سلاما لى ألم بها فقد أطلت وما سلمت من كثب

وما باله يسلم على الحرم التى ليست من أهله ، وهذا يدلك على ضعف البصر بمواقع الكلام ،

ومما وقع فيه من البعد فى الاستعارة والافراط فى الصنعة قوله

مسرة فى قلوب الطيب مفرقها وحسرة فى قلوب البيض واليلب

فكيف جعل للطيب والبيض واليلب قلوباً ، وليس لهاما يشبه القلب وهذه استعارة لم تجر على شبه قريب ولا بعيد ، وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من المناسبة وطرف من الشبة والمقاربة ، وكذلك قوله

تجمعت فى فؤاده همم ملء فؤاد الزمان إحداها

والزمان إذا نسب اليه شىء كان الأوفق أن يكون الساعد والعضد والمنكب مثلا

بقيت المبالغة والأحالة وهى أكثر هذه الأشياء يقع فيها غير متوق ولا متحفظ ، تأثراً بما وقع للشعراء قبله كقوله فى شدة الخوف

وضاقت الأرض حتى كان هاربهم إذا رأى غير شىء ظنه رجلا

غير مكترث بالأحالة ولا مستقبح أن يجعل غير الشىء مرئيا ، متأثراً فى ذلك بقول أبى تمام

أفى تنظم قول الزور والفند وأنت أنزر من لا شىء فى العدد

وكقوله فى لمعان السيف

سله الركب بعد وهن بنجد فتصدى للغيث أهل الحجاز

متأثراً بقول مهلهل

ولولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور

إلى غير تلك النواحى من عيوب المعانى التى قصد الجرجانى من وراء ذكرها عدم الشهادة لأبى الطيب بالعصمة ولا تبرئته من مقارفة الزلة، وأنها إذا نسبت إلى ماله من إحسان وإجادة لا تقف به دون أهل طبقته ولا تقصر به عن رتبته، إذ لا يجوز وهو من فحول الشعراء أن تحبط حسناته بسيئاته أو يقضى من عام تبريزه بخاص تعذيره،

٣ — المتنبي وموقفه من خطأ الالفاظ

وللمتنبى ألفاظ وصمت بالشذوذ على اللغة أو المخالفة للأعراب أو الخروج على الوزن أو الاضطراب في الأسلوب، وقد عد الجرجانى لكل منها أمثلة، أكثرها للغة وأقلها للعروض والأسلوب وأوسطها للنحو،

وهذا بعض ما عد،

فمن خطئه فى الاستعمال اللغوى قوله

ليس التعلل بالآمال من أدبى ولا القنوع بضنك العيش من شيمى

يريد القناعة، والقنوع المسألة لا القناعة، وبعضهم يروى البيت « ولا القناعة بالاقلال من شيمى » وذكر بعض رواة الشاميين أن المتنبى أنشده قديما القنوع ورجع عنه إلى القناعة بعد، ومنه قوله :

عوابس حلى يابس الماء حزمها فهن على أوساطها كالمناطق

والماء لا يوصف باليابس وإنما يقال جمد الماء . ومنه قوله :

فدا من على الغبراء أولهم أنا لهذا الأبى الماجد الجائد القرم

إذ لم يحك عن العرب الجائد وإنما المحكى عنهم الجواد للرجل والمطر والفرس . ومنه قوله :

بياض وجه يريك الشمس حالكة ودر لفظ يريك الدر مخشلبا

والمخشلب ليس فى كلام العرب وهو الخزف.

ومن خطئه فى مخالفة النحو قوله :

بيضاء يمنعها تكلم دلها تيها ويمنعها الحياء تميسا

فنصب تميس وتكلم مع حذف أن : ومنه قوله :

حملت اليه من ثنائى حديقة سقاها الحجا سقى الرياض السحائب

يريد سقى السحائب الرياض ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والحرف : ومنه قوله :

لم تر من نادمت إلاكا لا لسوى ودك لى ذاكا

فوصل الضمير بالا وحقه أن ينفصل عنها كما قال تعالى « ضل من تدعون إلا إياه » .

ومن خطئه بالخروج على الوزن العروضى قوله

تفكره علم ومنطقه حلم وباطنه دين وظاهره ظرف

فجعل عروض الطويل مفاعيلن فى غير التصريع والصحيح أن يكون مفاعلن ومنه قوله :

إنما بدر بن عمار سحاب هطل فيه ثواب وعقاب

إنما بدر رزايا وعطايا ومنايا وطعان وضراب

فأخرج الرمل على فاعلاتن فى العروض فى جميع أبيات القصيدة غير غير المصرعة كما ترى فى البيت الثانى ولا يكون كذلك إلا فى التصريع أما فى غيره فيكون على فاعلن ،

ومن اضطراب أسلوبه قوله

بقائى شاء ليس هم ارتحالا وحسن الصبر زموا لا الجمالا

يريد « بقائى شاء الارتحال لا هم » وليس من الكلام ما هو أشد تعقيدا وأظهر تكلفاً وأسوء ترتيباً من ذلك ، فضلا عن فصل الضمير فى ليس والصواب الاتصال ،ومنه قوله

جللا كما بى فليك التبريح أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح

يريد فليكن التبريح جللا كالذى بى ، وبه من التعقيد ما ترى

إلى غير هذا مما ذكر الجرجانى فى هذه الناحية ولكنه قال فيه « إنه عيب مشترك وذنب مقتسم ، فإن احتمل فللكل وإن رد فعلى الجميع » وإنما حظ أبى الطيب فيه حظ واحد من عرض الشعراء وموقعه منه موقع رجل من المحدثين »

٤ — الموازنة بين المتنبى وغيره

إن نظرة خاطفة إلى ما ذكره الجرجانى من سرقات المتنبى التى جاوزت الأربعمائة واستغرقت نحو نصف كتابه ، وفحصه عابرة للمعانى التى ألم بها فيها ، مقارنة بمعانى من سبقوه ، لترينا بجلاء فضله على غيره من الشعراء متى أوقعنا الموازنة على الأصول الثابتة والأسس الراسية التى ثبتها وأرساها فى كتابه ، ونقلنا بعضها فيما مضى ، وهاك إشارة إلى موازنتين أخريين : —

١ — قال من قصيدة طويلة فى وصف حمى اعترته

وزائرتى كأن بها حياء ... فليس تزور إلا فى الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا ... فعافتها وباتت فى عظامى
يضيق الجلد عن نفسى وعنها ... فتوسعه بأنواع السقام
إذا ما فارقتنى غسلتنى ... كأنا عاكفان على حرام
كأن الصبح يطردها فتجرى ... مدامعها بأربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوق ... مراقبة المشوق المستهام
ويصدق وعدها والصدق شر ... إذا ألقاك فى الكرب العظام

إلى آخرها وهى طويلة أوردها الجرجانى كلها ثم قال ، وهذه القصيدة كلها مختارة لا يعلم لأحد فى معناها مثلها والأبيات التى وصف فيها الحمى اخترع أكثر معانيها وسهل فى ألفاظها ، فجاءت مطبوعة مصنوعة ، وهذا القسم من الشعر هو المطمع الموئس . وقد أحسن عبد الصمد بن المعذل فى قصيدته الرائية التى وصف فيها الحمى ، ولكن أبا الطيب تنكب معانيه فلم يلم بشىء منها وهذا بعض الرائية ،

وبت المنية تنتابنى هدوا وتطرقنى سحره
إذا وردت لم يزع وردها عن القلب حجب ولا ستره
كأن لها ضرما فى الحشا وفى كل عضو لها جمره

إلى آخر ماذكر الجرجانى ثم قال « وأنت إذا قست أبيات أبى الطيب بها على قصرها ، وقابلت اللفظ باللفظ والمعنى بالمعنى ، وكنت من أهل البصر وكان لك حظ فى النقد تبينت الفاضل من المفضول » .

٢ — وقال يصف الأسد

وقعت على الأردن منه بلية نضدت بها هام الرفاق تلولا
متخضب بدم الفوارس لابس فى غيله من لبدتيه غيلا
ماقوبلت عيناه إلا ظنتا تحت الدجى نار الفريق حلولا
يطأ الثرى مترفقا من تيهه فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته إلى يافوخه حتى تصير لرأسه إكليلا

إلى آخر ماذكر منها وهى طويلة ، قال الجرجانى ، ولولا أبيات البحترى فى هذا المعنى لعددت هذه من إفراد أبى الطيب ، لكن البحترى قالها يصف قتل الفتح بن خاقان أسدا عرض له ، ومنها .

غداة لقيت الليث والليث مخدر يعدد نابا للقاء ومخلبا
فلم أر ضرغامين أصدق منكما عراكا إذا الهيابة النكس كذبا
هزبر مشى يبغى هزبراً وأغلب من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا
أدل بشبث ثم هالته صولة رآك لها أمضى جنانا وأشغبا
فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا وأقدم لما لم يجد عنك مهربا
جلت عليه السيف لاعزمك انثنى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

وبعد فقد ذكر الجرجانى فى وساطته ، غير الموضوعات التى أشرنا اليها عن المتنبى ، جملة مقطعات اختارها من جيد شعره فبلغ بها نحو المائة وأتبعها بما كمل المائة وزاد مما استحسن له من جودة المطالع وحسن التخلص والانتهاء ، ثم أعقب هاتين بأبيات مفردة جاوز بها الخمسين بعد المائة ، منها ماجرى

مجرى الأمثال السائرة ، ومنها ما حمل معانى مستوفاة بذت نظائرها وأشباهها، ممهداً لذلك كله بقوله وهو ما نختم به تحليلنا لهذا الكتاب، قال يخاطب محاجه : « وليس من شرائط النصفة أن تنعى على أبى الطيب بيتا شذ ، ولفظة ندرت ، وقصيدة لم يسعده فيها طبعه ، وكلمة قصرت عنها غايته ، وتنسى محاسنه وقد بهرت الأبصار ، وروايته وقد ملأت الأسماع ، ولا من العدل أن تؤخره للهفوة المنفردة ولا تقدمه للفضائل المجتمعة، وأن تحبطه للزلة العابرة ولا تنفعه بالمناقب الباهرة، وكيف أسقطته عن طبقات الفحول وأخرجته من ديوان المحسنين ، لهذه الأبيات التى أنكرتها ، ولم تسلم له قصب السبق ونصال النضال ، وتعنون باسمه صحيفة الاختيار » .

الصاحبى بيومى